الكتابات الأثرية الإسلامية بالجزائر،
ودورها في توثيق التاريخ وتصحيحه
(دراسة أنموذجية)

الدكتور/ عبد الفتاح بن جدو
أستاذ محاضر – أ/ جامعة زيان عاشور – الجلفة
benjeddou2511@gmail.com

الملخص:

تعدّ الكتابات الأثرية بأنواعها المختلفة فرعا هاما من فروع علم الآثار الإسلامية بالجزائر، حيث شكلت محور اهتمام ودراسة من طرف الكثير من الباحثين في الآثار، الجزائريين منهم وغير الجزائريين، من المسلمين والمستشرقين خاصة الفرنسيين، وتظهر الأهمية الكبيرة لهذه الكتابات حين تساعدنا على فهم بعض الأحداث في التاريخ وتأكيدها أحيانا، أو تصحيحها وتصويبها أحيانا أخرى، خاصة عندما يتعلق الأمر ببعض أنواع الكتابات، كالكتابات التأسيسية أو الكتابات الوقفية، أو الكتابات الشاهدية ، وسنحاول من خلال هذا العمل استعراض نماذج لبعض الكتابات الأثرية الإسلامية بالجزائر، ودراستها دراسة أثرية فنية تحليلية، ودراسة تاريخية أيضا، محاولين إبراز دورها في توثيق التاريخ أو تصحيحه.

الكلمات المفتاحية: الكتابات؛ الإسلامية؛ الأثرية؛ التوثيق؛ التاريخ؛ الجزائر.

تعدّ دراسة النقوش الكتابية الأثرية بأنواعها المختلفة أحد الفروع الأساسية لدراسة علم الآثار، وبالنسبة لمجال الآثار الإسلامية فهي تعد مصدرا هاما لدراسة التاريخ والآثار معا، فهي تمدنا بمعلومات هامة وقيمة جدا، خاصة منها الكتابات التأسيسية التي تساعدنا على فهم كثير من الأحداث في الماضي، من خلال ما تقدمه لنا من أسماء للفاعلين في الحياة السياسية كالخلفاء والأمراء والسلاطين والولاة ، وما تمدنا به من معطيات وتفاصيل تخص بناء وتشييد العمائر والمنشآت، أو إعادة ترميمها وتجديدها ، وأسماء المهندسين والمشرفين والأشغال وغير ذلك من معطيات.

لقد عرفت دراسة النقوش الكتابية العربية بالمشرق اهتماما كبيرا من جانب المستشرقين مثل غاستون فيات Gaston Wiet الذي اهتم بتاريخ وآثار مصر الإسلامية عموما ، وله مؤلفات كثيرة حولها ، بعضها خاص بموضوع الكتابات الأثرية تحديدا ، منها كتاب "Inscriptions mobilières de l’Egypte musulmane " ، ومن هؤلاء

المستشرقين أيضا السويسري ماكس فان برشام Max Van Berchem صاحب الموسوعة الضخمة " مواد من أجل جامع الكتابات العربية – Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicarum "، وجروهمان Grohman صاحب الكتابات القيمة عن أصل الخط الكوفي وتطوره .

ثم انتقل هذا الشغف بدراسة النقوش الكتابية العربية إلى بلاد المغرب ، ومن الذين اشتغلوا به روي وبانسو Roy et Poinssot، وقد اختصا بدراسة نقوش القيروان والمنستير ، وظهر جهدهما خاصة في كتاب " الكتابات العربية بالقيروان " ، وكتاب " الكتابات العربية بالمنستير"، وفي الجزائر نذكر في هذا المجال جهود بروسلار Brosselard الذي اهتم بكتابات تلمسان ، وألبير دوفو الذي اهتم بكتابات المنشآت الدينية بمدينة الجزائر العاصمة ، ونشر الكثير من أبحاثه في المجلة الإفريقية منذ سنة 1872[1]، بالإضافة إلى كولان (Colin) الذي ألف كتابه القيم عن كتاب " مدونة عن الكتابات التسجيلية العربية والتركية – Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie"، ومن الأمور المميزة في هذا الكتاب الأخير أن صاحبه قد جمع عددا معتبرا من الكتابات باللغة العثمانية بالجزائر ، وقام بترجمتها إلى الفرنسية ، فسهل بعمله هذا على كثير من الباحثين الجزائريين فهم نصوص هذه الكتابات، خاصة ممن يتقنون اللغة الفرنسية ولا يتقنون اللغة العثمانية التركية.

ومن الجزائريين الذين اشتغلوا بموضوع الكتابات الأثرية نذكر الأستاذ رشيد بورويبة الذي اهتم بكتابات المساجد وجمعها في كتاب "الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية"، ونذكر أيضا الأستاذين عبد الحق معزوز ودرياس لخضر اللذين عملا على مشروع كتاب جامع للكتابات الأثرية العربية بالجزائر، تم منه الجزء الأول فقط الخاص بالشرق الجزائري وصدر سنة 2000، وقد تضمن حوالي 171 كتابة، ويبدو أن المشروع لم يكتمل للأسف، وهناك غيرهم كثير من الباحثين الجزائريين خاضوا في موضوع الكتابات الأثرية بالجزائر أيضا، وسنحاول من خلال هذه المداخلة الموجزة التعرض لأهمية الكتابات الأثرية في دراسة وفهم التاريخ، وتأكيد بعض المعطيات التاريخية أحيانا، أو

---

1 عبد الحق معزوز، لخضر درياس، **جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر، ج 1 كتابات الشرق الجزائري**، مطبعة سومر، الجزائر، 2000، ص. 07، 08.

نفيها وتصحيحها أحيانا أخرى ، وذلك من خلال بعض النماذج نبدؤها بالكتابة التأسيسية لمدرسة سيدي الكتاني بقسنطينة .

1 – الكتابة التأسيسية لمدرسة سيدي الكتاني (صورة 01):

توجد هذه الكتابة حاليا على الجدار الشمالي الغربي للإيوان الذي يقع في مؤخر المدرسة، والذي صار لاحقا قبة ضريحية خاصة لصالح باي وبعض أفراد أسرته والمقربين منه، وما يؤكد ذلك أن هذه الكتابة الموجودة داخلها تذكر أنها مدرسة وليست مقبرة أو ضريحا.

تضم هذه الكتابة ثمانية أسطر، السطر الأول كالعادة تضمن البسملة والصلعمة، والأسطر السبع الباقية تضمنت أبيات شعر، جعل كل مصراع في إطار مكون من خطين أفقين متوازيين ومايبشبه شكل العقود البصلية في جانبيه، وزين مابين الإطارات بدوائر بداخلها أزهار رمان كتلك الموجودة بالكتابة التأسيسية لجامع سيدي الكتاني، مما يوحي لنا بأن الكتابتين من إنجاز شخص واحد، خاصة وأن الخط متشابه[1].

وقد نفذت الكتابة على لوح مستطيل من الجص بطريقة بارزة ، وبخط يقترب من أن يكون خط الثلث لكنه غليظ وقليل الجودة ، ونقرأ فيها :

– نص الكتابة:

سطر 01 : بسم الله الرحمن الرحيم * صلى الله على سيدنا محمد .

سطر 02 : طاب الزمان بمن توالى نفعه * للمسلمين وزاد في علياه .

سطر 03 : ملك يوم الصالحات بعزمه * فاختار اخره على دنياه .

سطر 04 : احيى دروس العلم بعد دروسها * وبنى لها دارا زكى مبناه .

سطر 05 : هي مدرسة لاحت اشعة نورها * لم لا وهي الدر في معناه .

سطر 06 : جادت بها انفاس لمعظم صالح * ذلك المجاهد يبتغي مولاه .

سطر 07 : فالله يرزقه السعادة بمال * وينيله يوم القيامة مناه .

سطر 08 : قد بين التاريخ في قول لنا * فخر المحامد بالهنا مبناه .

---

1 عبد الفتاح بن جدو، **الرخام بين الجمالية والوظيفية في المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة دكتوراه العلوم، معهد الآثار– جامعة الجزائر 2 ، 2017/2016، ص. 101 .

ونلاحظ أن الكتابة قد ابتدأت كالمعتاد بعبارات الاستفتاح والاستهلال بالبسملة ثم الصلعمة في السطر الأول، ثم بمدح المؤسس صالح باي والثناء عليه في السطرين الثاني والثالث، ثم نلاحظ وجود العبارات التي تؤكد على أن هذا البناء هو مدرسة ، ففي السطر الرابع نجد عبارات "أحيى دروس العلم ... وبنى لها دار ..."، وفي السطر الخامس نجد عبارة "هي مدرسة..."، ثم تعود الكتابة مجدد لمدح صالح باي في السطر السادس ثم الدعاء له في السطر السابع ، وفي السطر الثامن والأخير نجد الإشارة إلى التاريخ، لكننا لا نجده مكتوبا بالأرقام ولا بالأحرف ، والحقيقة أن هذا مثال للنماذج القليلة التي ورد فيها ذكر التاريخ بطريقة حساب الأحرف أو الجمل، أو التاريخ بالألفاظ كما يسميه بورويبة، ونقرأ في السطر الأخير: قد بين التاريخ في قول لنا * ***فخر المحامد بالهنا مبناه***

فالتاريخ قد ذكر بطريقة حساب الأحرف في عبارة " فخر المحامد بإلهنا مبناه " ، وإذا أردنا التأكد من ذلك فسنقوم بحساب ما يقابل الأحرف في العبارة وجمعها مع بعضها

فخر = ف (80) + خ (600) + ر (200) = 880 .

المحامد = أ (01) + ل (30) + م (40) + ح (08) + أ (01) + م (40) + د (04) = 124.

بالهنا = ب (02) + أ (01) + ل (30) + ه (05) + ن (50) + أ (01) = 89 .

مبناه = م (40) + ب (02) + ن (50) + أ (01) + ه (05) = 98 .

وبجمع الأرقام مع بعضها البعض (880) + (124) + (89) + (98) نحصل على الرقم 1191 ، وهو بالضبط تاريخ بناء المدرسة بالضبط ويوافقه بالميلادي أغلب سنة 1777 .

وقد ذكر إرنست ميرسييه أن المدرسة بنيت سنة 1775 ثم بني المسجد سنة 1776 عاما بعدها[1] .

ويمكن أن نستفيد من هذه الكتابة التأسيسية عدة نقاط وملاحظات أهمها :

1 Ernest Mercier , **Histoire de Constantine** , J.MARLE et F.BIRON imprimeurs-éditeurs , France, 1903 , p 293 .

– أن الجزء الشمالي الغربي الذي يقع في مؤخر المدرسة ، والذي هو اليوم – ومنذ مدة طويلة – قبة ضريحية دفن بها صالح باي وبعض أفراد عائلته ومقربيه ، هذا الجزء كان في الأصل جزءا من المدرسة ولم يبن في الأصل ليكون ضريحا أو مقبرة خاصة ، وربما تم هذا التغيير بعد وفاة صالح باي مباشرة .

– أن الكتابة تساعدنا في تحديد التاريخ الدقيق لبناء المدرسة ، وتصحيح ما ورد في بعض المصادر، مثل ماورد عند ميرسييه من أن المدرسة بنيت سنة 1775 عاما قبل المسجد، والصحيح أنها بنيت سنة 1777 عاما بعد المسجد بحسب الكتابة .

– أن التاريخ قد ورد ذكره في الكتابة بطريقة الألفاظ أو حساب الأحرف ، وهي طريقة كانت معروفة ومتبعة في الحضارة الإسلامية مشرقا ومغربا ، لكنها بالجزائر ليست كثيرة ، وهذا أحد نماذجها .

وهناك نموذج آخر لكتابة تأسيسية قريبة من الكتابة السابقة من حيث المكان والزمان ذكر التاريخ فيها أيضا بطريقة حساب الأحرف ، وهي الكتابة التأسيسية لجامع الباي بعنابة .

2 – الكتابة التأسيسية لجامع الباي بعنابة (صورة 02) :

تقع هذه الكتابة أعلى المدخلين الثانويين للمسجد والواقعين على شارع (زقاق) بورقعة جنوبا ، نفذت هذه الكتابة على لوح مستطيل من الرخام الأبيض وتضمنت ستة أسطر هي عبارة عن أبيات شعر، كل سطر مقسم إلى مصراعين ، وكل مصراع داخل إطار مؤلف من خطين متوازيين أفقيا ، وخطوط منحنية ومدببة على الجانبين ، والسطر الأخير يتضمن التاريخ فقط ، ونقرأ في هذه الكتابة[1] :

سطر 01 : لعمرك بيت الله للسر جامع * مشيد أركان به النور ساطع .

سطر 02 : بدت دونه زُهَر الكواكب رفعة * به بونة للسعد منها مطالع .

سطر 03 : به جاد تاج الدين والمجد صالح * الى دُرَج العلياء راق وطالع .

سطر 04 : أمير البرايا زاد ظفرا ونصرة * مؤيد دين الحق للشرع تابع .

سطر 05 : فمذ اسس البيت الرفيع على الهدى * أأرخه للخير برك جامع .

سطر 06 : سنة 1206 .

1 عبد الفتاح بن جدو ، مرجع سابق ، ص 199 .

وقد أكدت الأستاذة بن بلة على أن تاريخ التأسيس ورد بحساب الجمل أيضا في الشطر الثاني من السطر الخامس في العبارة " **للخير برك جامع** " وقامت بحساب الحروف فحصلت على نفس التاريخ 1206 وفق الطريقة التالية[1] :

للخير = ل (30) + ل (30) + خ (600) + ي (10) + ر (200) = 870

برك = ب (02) + ر (200) + ك (20) = 222

جامع = ج (03) + أ (01) + م (40) + ع (70) =114

فيصبح المجموع النهائي بذلك 1206 وهو التاريخ المذكور بالأرقام بالضبط ، ويوافق بالميلادي أربعة أشهر من سنة 1791 وثمانية أشهر من سنة 1792 .

وقد نفذت هذه الكتابة بطريقة الحفر الغائر لكنه ليس غائرا كثيرا ، واستخدم فيها خط الثلث لكنه جاء بسيطا ويقترب من أن يكون خط النسخ في بعض الأحيان ، وجاءت حروفه معجمة ومشكولة .

ومن الكتابات التأسيسية بالجزائر التي تعود للعهد العثماني كتابة جامع رأس القلعة بقلعة بني راشد .

3 – الكتابة التأسيسية لمسجد رأس القلعة ببني راشد (صورة 03) :

جاءت هذه الكتابة على لوح مربع من الرخام ضلعه 60 سم ، مثبت بأحد جدران المسجد عن يمين الداخل من الباب الرئيسي ، وقد جاءت هذه الكتابة في عشرة أسطر نقرأ فيـها[2] :

سطر 01 : الحمد لله حق حمد أما .

سطر 02 : بعد أمر ببناء هذا الجامع الأعظم .

سطر 03 : أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العا .

سطر 04 : المنصور بفضل الله المتوكل عليه .

سطر 05 : المعتمد في جميع أموره على ربه مجند .

سطر 06 : الجنود المنصور الرايات والبنود أبي .

---

1 بن بلة خيرة ، **المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني** ، رسالة دكتوراه دولة ، إشراف أ.د عبد العزيز لعرج ، معهد الآثار – جامعة الجزائر ، 2008/2007 ، ص 86 .

2 عبد الفتاح بن جدو ، مرجع سابق ، ص 202 .

سطر 07 : المعالي مولانا حسن باي بن عثمان خلد الله .

سطر 08 : ملكه وأدام عزه ونصره قصد بذلك .

سطر 09 : وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم .

سطر 10 : بتاريخ ربيع الثاني عام ثلاثة وسبعين ومائة و ... (ألف) .

وقد استخدم في هذه الكتابة خط الثلث ، لكنه ليس جميلا ورفيعا كالمعتاد ، ويميل في بعض الأحيان أن يكون خط النسخ ، وقد نفذت الكتابة بطريقة بارزة ، وجاءت حروفها معجمة ومشكولة غالبا ، والكتابة كلها داخل إطار يشبه المدخل يعلوه عقد مفصص ، وتحيط من الجانبين والأعلى زخارف نباتية بديعة قوامها سيقان وأوراق متنوعة نفذت كلها بطريقة الأرابسك ، أما بالنسبة للوح فقد تعرض لضرر كبير ، فهناك شق كبير به يقسمه إلى نصفين يمتد من أسفله يساره إلى وسطه يمينا ، كما تناثرت قطع صغيرة من زواياه الأربع ، ما يجعلنا نعتقد بأنه ربما نزع من مكان تثبيت الأول وأعيد تثبيته مجددا[1] .

هذا عن الكتابة ، أما المسجد فهو مسجد صغير متواضع البناء ، يقع بمحاذاة الطريق المؤدي إلى حي السوخ محاطا ببعض الدور والمباني ، ويضم هذا المسجد كتابة تأسيسية على لوح من رخام ، ويذكر الباحث يحياوي العمري أن هذا المسجد ليس هو المقصود في الكتابة ، وإنما هو مسجد آخر بناه الباي حسن بن عثمان سنة 1173 هـ (1759) ، لكن هذا المسجد تهدم إثر زلزال مدمر ضرب المنطقة سنة 1887[2] ، وهكذا يبدو حسبه أن اللوح الذي تضمن الكتابة سلم من الدمار فنقل إلى هذا المسجد الذي لا نعرف بالتحديد تاريخ بنائه .

وتشير الكتابة إلى أن الذي بنى هذا المسجد هو حسن بن عثمان ، وبحسب المصادر التاريخية ، فإن هذا الباي لم يعمر في منصبة إلا وقتا قصيرا ، لا يتجاوز السنة على أكثر تقدير وهي سنة 1170 هـ (1757/1756) ، ويبدو أنه قد تعرض لنقمة الداي

---

1 عبد الفتاح بن جدو ، مرجع سابق ، ص 202 .

2 يحياوي العمري ، **الكتابة التأسيسية للمسجد العثماني العتيق بقلعة بني راشد دراسة تحليلية فنية** ، " مجلة دراسات تراثية " (مجلة سنوية محكمة يصدرها مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط – جامعة الجزائر) ، ع 07 ، الجزائر ، 2017 ، ص 236 .

علي باشا بوصباع (1766/1754) لسبب لا نعلمه بالضبط ، وفي هذا الصدد يقول الزياني : " رابع عشرينهم حسن باي ، تولى سنة 1170 وهرب من ملكه لإسطنبول لما أهانه باشا الجزائر ، وشدد عليه وأذله ، ثم خلفه أبو إسحاق إبراهيم المليانى باي ، تولى سنة 1170 ... "[1] ، وعنه يقول أيضا مسلم بن عبد القادر : " حسن باي وقد تولى حكم المقاطعة الغربية سنة 1170 ، ثم هرب من إمارته إلى إسطنبول "[2] .

أما ابن عودة المزاري فقال عنه : " ... ثم حسن باي ، تولى سنة سبعين ومائة وألف ثم هرب من ملكه لإسطنبول لما أهانه الباشا بالجزائر وخليفته البحثاوي المسطور ، ثم أبو إسحاق إبراهيم باي المليانى تولى عام السبعين ومائة وألف ... "[3] .

ويبدو أن هنالك لغزا يحيط بهذا المسجد وكتابته وبالباي الذي أنشأه وفترة حكمه ، فهذا الباي كما رأينا لم يعمر في منصبه إلا وقتا قصيرا أقل من السنة ، وربما يكون شهرا أو شهرين فقط ، والمصادر السابقة لم تتحدث عن أي أعمال نسبت له إنشائية كانت أو غيرها ، فضلا عن أن تكون متأخرة عن فترة حكمه (1173)، رغم أن الزياني كان يركز على ذكر الأعمال الإنشائية للبايات ، فقد تحدث مثلا عن أعمال الباي الذي سبقه فقال: "... ثالث عشرينهم الحاج عثمان ... وهو الذي بنى الجامع الأعظم بالمعسكر سنة توليته ، ونقش على حجارة اسمه وتاريخ البناء ونصه ... ، ثم بنى الدار والقبة الملاصقة للجامع الأعظم بالمعسكر ... وأمر بكتابة اسمه وتاريخ بنائها ، فكتب بحجارة ونصه ..."[4] .

وذكر كذلك الأعمال الإنشائية للباي الذي تولى بعده فقال : " ... ثم خلفه أبو إسحاق إبراهيم المليانى باي ، تولى سنة 1170 فكان محبا للعلم وأهله ، بنى برج

---

1 محمد بن يوسف الزياني ، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران** ، ط1 ، تح : المهدي البوعبدلي ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص 258 .

2 مسلم بن عبد القادر الوهراني ، **تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر** ، تح : رابح بونار ، ش.و.ن.ت ، الجزائر ، 1974 ، ص 21 .

3 الآغا بن عودة المزاري ، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا** ، ج1 ، تح : يحيى بوعزيز ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ، ص 285 .

4 الزياني ، مصدر سابق ، صص 255-257 .

العسكر بالمعسكر ، وأمر بكتابة اسمه وتاريخه عليه ... "[1] ، فلماذا لم يذكر هذا المسجد من أعمال هذا الباي حسن بن عثمان ، مع العلم أن المزاري لم يذكره أيضا كما رأينا وذكر أعمالا عمرانية لبايات آخرين أيضا ، قبله وبعده ، ونفس الأمر بالنسبة لمسلم بن عبد القادر ، فهل أن هذا الباي حقا قام ببناء جامع أعظم ؟ أم أنه فكر في بنائه فقط ؟ ولم يسمح له الوقت بذلك وكانت قد جهزت مسبقا لوحة تأسيسية له فنقلت إلى هذا المسجد الصغير لاحقا ، وفي هذه الحال نقول بأنه قد وقع تزوير للتاريخ هنا ويجب تصحيحه .

أم أن هذا الجامع هو المسجد الصغير الموجود الآن فعلا ، وأن عبارة الجامع الأعظم لم تكن سوى مبالغة ممن قام بكتابة اللوحة التأسيسية ، وهذا احتمال وارد بالنظر لوجود مبالغة أخرى في هذه الكتابة أيضا وهي عبارة " أمير المؤمنين " ، فمنذ متى كان يتلقب البايات بهذا اللقب المفخم الذي من المفروض أنه يخص السلطان وحده ، وليس حتى داي الجزائر .

ونشير أيضا إلى أن الباحث العمري لم يذكر معلومات مؤكدة حول وجود الجامع الأصلي وكيف تعرض للدمار ، بل هي مجرد فرضية من أن هذا المسجد ليس هو الجامع المقصود في الكتابة اعتمادا على عبارة " الجامع الأعظم " فقط ، وهنا نقول بأن هذا ليس دليلا كافيا ويجب أن يُدعم بمعلومات موثقة من المصادر .

وفوق كل هذا وذاك تبقى لنا مشكلة التاريخ ، فالتاريخ المذكور (1173) كما قلنا لا يوافق فترة حكم هذا الباي التي نصت عليها المصادر السابقة (1170) .

وبين هذا وذاك فإن كل هذه الفرضيات السابقة تضعنا أما معضلة حقيقية ، وتفرض علينا أن نقوم بتحقيق دقيق للوصول إلى حقيقة بناء هذا الجامع وكتابته التأسيسية والتاريخ الذي تحمله ، لكن ومع هذا فإننا نعتقد أن ما يمكن التعويل عليه ولو مؤقتا على الأقل أننا سنثق بالكتابة الكتابة التأسيسية أكثر من المعطيات التاريخية ، ونعتمد التاريخ الموجود بها وهو 1173 هـ ، فهو أقرب للمنطق والعقل ، فمن غير المعقول أن يكون هناك خطأ في كتابتها ، ومن المستبعد جدا أن يكون حدث بها تغيير

1 نفسه ، ص 258 .

أو تزوير ، أما المصادر التاريخية فقد رأينا أنها اعتمدت جميعا على مصدر واحد هو مسلم بن عبد القادر، وهو مصدر غير معاصر وبعيد قليلا عن الحدث زمانيا .

ونبتعد عن الكتابات التأسيسية قليلا لنتجه إلى الكتابات على شواهد القبور ، وهي من النقوش الكتابية الهامة جدا أثريا وتاريخيا ، وتساعد هي الأخرى أيضا في دراسة وفهم الكثير من الأحداث التاريخية وتصحيحيها في بعض الأحيان ، كما هو الحال مع كتابة شاهد قبر الحاج أحمد باي (آخر بايات قسنطينة) .

4 – الكتابة الشاهدية لضريح الحاج أحمد باي بمدينة الجزائر :

يوجد هذا الضريح في الحديقة التي تسبق ضريح سيدي عبد الرحمان في جناح خاص مغلق عبارة عن حديقة صغيرة يليها إيوان له بائكة صغيرة تطل على هذه الحديقة، والقبر موجود داخل هذا الإيوان ، وهذا الجناح مقفل الآن ولم نستطع الدخول إليه إلا عبر فتحة تشبه النافذة بحجة أن المفتاح قد ضاع ، ويتضمن هذا القبر شاهدين متماثلين في الشكل ومختلفين في الكتابة[1] .

4 – 1 – الشاهد الأول (صورة 04) :

وهو على شكل لوح مستطيل الشكل مثبت أفقيا وفي أعلاه شكل عقد يعلوه شكل هلال متجه نحو الأعلى .

وجه هذا الشاهد مزين بزخارف نباتية متنوعة نفذت بطريقة الزخرفة البارزة قوامها سيقان ، أوراق وأزهار والكل داخل إطار يأخذ شكل الشاهد تماما ويحيط به شريط من مكعبات صغيرة مدببة الرؤوس ثم شريط آخر من القنوات العرضية الصغيرة .

أما بالنسبة لظهر هذا الشاهد فقد تضمن كتابة تخلد ذكرى صاحب القبر وتاريخ وفاته ، وقد جاءت هذه الكتابة في خمسة أسطر نفذت بخط النسخ وبطريقة بارزة ، كل سطر داخل إطار مستطيل ، ونقرأ في هذه الكتابة ما يلي :

سطر 01 : هذا قبر المرحوم .

سطر 02 : بِكَرم الحي القيوم .

سطر 03 : سيدي الحاج احمد باي .

سطر 04 : بن محمد الشريف رحمه الله .

---

1 عبد الفتاح بن جدو ، مرجع سابق ، ص 183 .

سطر 05 : في ذي القعده 1267 .

والتاريخ المذكور يوافق تاريخ أوت أو سبتمبر من سنة 1851 وهو تاريخ وفاة الحاج أحمد باي .

4 – 2 – الشاهد الثاني (صورة 05) :

كما قلنا فإنه مماثل لسابقه في الشكل لكنه مختلف عنه في الكتابة ، وحيث أنه مسند للجدار فإننا لا نستطيع معرفة ما بوجهه ونكتفي بالظهر الذي تضمن الكتابة .

وقد جاءت هذه الكتابة في خمسة أسطر ونفذت بنفس الطريقة والخط ونقرأ فيها ما يلـي :

سطر 01 : هو الباقي على الدوام .

سطر 02 : سبحانه لا اله الا الله .

سطر 03 : الملك الحق المبين .

سطر 04 : محمد رسول الله .

سطر 05 : الصادق الوعد الامين .

وليس الشاهدان فقط هما العنصران المصنوعان من الرخام ، بل إن جداري القبر مصنوعان من لوحين مستطيلين من الرخام زين كل منهما بحزام لولبي من فوق أما عن الجانب فقد زين كل منهما بزخارف نباتية عبارة عن سيقان وأوراق نباتية متنوعة ، وجميع هذه القطع (الشاهدان واللوحان الجانبيان) مصنوعة من نفس الرخام ، وهو رخام أبيض شاحب قليل الجودة.

وقد ورد في كثير من المراجع الحديثة الخاصة بتاريخ الجزائر المعاصر أن الحاج أحمد باي توفي سنة 1850، لكن هذه الكتابة جاءت لتقطع الشك باليقين ، وتؤكد أن وفاته كانت سنة 1851 .

وعموما، ومن خلال كل ما سبق نخلص إلى أن النقوش الكتابية بأنواعها المختلفة خاصة التأسيسية منها تعد مصدرا ماديا هاما في دراسة جوانب متعددة من الحضارة الإسلامية فهي مصدر موثوق لتأكيد التاريخ أحيانا ، وتصحيحه أحيانا أخرى، وهي حقل خصب لدراسة تطور الخط العربي بأشكاله وانواعه المختلفة ، ودراسة الفنون الزخرفية ، كما تعد مصدرا هاما أيضا لدراسة تاريخ العمائر والمباني والمنشآت وتطورها.

ملحــق الصـــور

صورة 01 : الكتابة التأسيسية لمدرسة سيدي الكتاني (عمل الباحث)

صورة 02 : الكتابة التأسيسية لجامع الباي بعنابة (عمل الباحث)

صورة 03 : الكتابة التأسيسية لجامع رأس قلعة بني راشد
عن / يحياوي العمري ، مرجع سابق ، ص 246 .

صورة 04 : كتابة الشاهد الأول الأساسي لقبر الحاج أحمد باي (عمل الباحث)

صورة 05 : كتابة الشاهد الثاني الثانوي لقبر الحاج أحمد باي (عمل الباحث)